اندلاع الثورة في المنطقة الثالثة
ومظاهر من التآزر الثوري بينها وبين المناطق الأخرى

د/ عائشة حسيني، جامعة البويرة

مقدمة:

تحتل المنطقة الثالثة (الولاية الثالثة الثورية بعد مؤتمر الصومام) موقعا استراتيجيا هاما نتيجة الخصائص الطبيعية التي تتميز بها؛ والتي جعلت منها حصنا منيعا للثوار الذين أعلنوا الثورات الشعبية منذ بداية الاحتلال الي غاية الثورة التحريرية المباركة، وتمتاز بحصانة طبيعية نتيجة الطابع الجبلي الصعب للمنطقة، مما جعل منها ملجأ مثاليا للشخصيات الوطنية المعروفة التي فرت من السلطات الاستعمارية قبل اندلاع الثورة، ومنها تم التخطيط والتحضير للثورة، كما جعل منها أيضا موقعها الذي يتوسط الولايات الثورية، مركز عبور واتصال أساسي بين قيادات الثورة التحريرية المباركة منذ الأيام الأولى للثورة، والتي تميزت بالصعوبات الكبرى على مستوي التحضير والانطلاق، ثم مد ونشر النظام الثوري بها؛ والاتصال بين القيادات الثورية بعد الانطلاق، فكيف تم التحضير لانطلاق الثورة علي مستوي المنطقة الثالثة ؟، وما هي مظاهر التعاون والتآزر بين قيادات الثورة بالمنطقة الثالثة وباقي المناطق الثورية الجزائرية الأخرى.

الولاية الثالثة الموقع والحدود خلال الثورة:

تقع المنطقة الثالثة (الولاية الثالثة بعد مؤتمر الصومام) شرق الجزائر، وتتألف من مجموعة هامة من الجبال الوعرة، منها جبال جرجرة ووادي الصومام، وجبال البيبان، جبال البابور، وقسم من السهول العليا السطايفية، والهضاب العليا الشرقية، وجنوب غرب جبال الحضنة، فهي تمتد من ساحل البحر شمالا من شرق أوقاس وبجاية إلى زموري حاليا؛ وبوسعادة جنوبا.

أما على حسب التقسيم الذي أحدثته قيادات الثورة بين الولايات الثورية منذ بداية الاحتلال، فإننا نجد أنها تشترك مع الولاية الثانية التاريخية من جهة الشرق، من سوق الاثنين على البحر إلى غاية سطيف عبر خراطة؛ على طريق الجزائر قسنطينة، وتحدها الولاية الأولى من سطيف إلى بوسعادة عبر برج بوعريريج والمسيلة، ومن الغرب تشترك مع الولاية الرابعة من زموري على البحر شمالا إلى بوسعادة جنوبا عبر الأخضرية، البويرة، سيدي عيسي وعين الحجل، وتم جعل مدينة سطيف في الشرق تابعة لها، ولكن طلب من مناضليها أن يقدموا المساعدة للولايتين الأولى والثانية[1].

ويتألف سطح الولاية الثالثة من تضاريس متنوعة سهلية وجبلية، فالكتل الجبلية تنتمي إلى سلسلة الأطلس التلي الممتدة من الشرق إلى الغرب، وتحديدا إلى الكتلة الجبلية الشرقية، التي يفصلها عن الكتلة الغربية جبال زكار ومليانة؛ ابتداء من جبال البليدة والأطلس البليدي، تمتد هذه المنطقة في إطارها الجبلي ابتداء من شرق

جبال بوزقزة الصعبة التي تشرف على العاصمة، ثم جبال جرجرة وجبال البابور والبيبان[2]، وهي مسطحة في جزئها الجنوبي تقريبا.

فجبال البيبان تمتد من صور الغزلان غربا ،إلى سطيف شرقا، وبرج بوعريريج جنوبا، وخراطة وقرقور شمالا، ويفصلها وادي الصومام عن جبال جرجرة في الغرب ومضايقها، وتشتهر بخوانقها العميقة والضيقة وأبوابها، وبحدة قممها وشدة انحدارها، ومن أشهر خوانقها أبواب الحديد، وتمثل هذه الجبال صلة الوصل بين الشرق القسنطيني والجزائر العاصمة جنوبا، كما تحتل جبال جرجرة رقعة واسعة واسترتيجية مهمة، وتمتد من وادي يسر غربا على مشارف سهل المتيجة إلى وادي الصومام شرقا على مشارف جبال البابور والبيبان، وهي ذات غطاء نباتي كثيف جدا[3].

التحضير للثورة وظروف انطلاقها بالمنطقة الثالثة:

جند كريم بلقاسم وعمار أوعمران 450 رجلا بعد اجتماعهما برؤساء الدوائر السبعة لمنطقة القبائل واختاروهما من فئتين اثنين:

أولا: الشبان غير المتزوجين الذين ليست لهم مسؤوليات عائلية. **ثانيا**: المتزوجون الذين ليس لهم أولاد، أو لهم أولاد قليلون. وكلهم من الذين تلقوا تدريبات عسكرية في الجيش الفرنسي، واعتادوا على حياة القسوة والصعوبات والخشونة. وبدا أعمران في التحضيرات منذ شهر جوان، حيث جمع 27 رئيس قسمة في منزل حارس الغابة بقرية ميرابو، وأعلن لهم خبر إنشاء اللجنة الثورية للوحدة والعمل، وحدثهم على الاستعدادات العسكرية الجارية لإعلان الكفاح المسلح[5]، وبناءا على ذلك صدرت تعليمات لمسئولي النواحي والقسمات، بضرورة الإسراع في تنظيم الأفواج وتدريبهم على استخدام الأسلحة وصنع المتفجرات ونصب الكمائن، وكذا فنون حرب العصابات.

وقد تم توزيع بعض البنادق على الأفواج في كل الأقسام ليقع التدريب عليها، أما بالنسبة للسلاح فقد كان يشتري من السوق السوداء مثل تمزريب بضواحي سيدي على بوناب، وسوق الاثنين بني صدقة بأربعاء بني واسيف، إضافة إلى ما كان يشتريه المناضل ايت عبد السلام، والطاهر اوطازنت من ذراع الميزان ،كما طلب من كل مناضل أن يبادر بشراء سلاحه من ماله الخاص، أما الأسلحة المشتراة بأموال النظام فقد كانت تخبا في مقهى زهوان أمام السوق المركزي، ومن هناك كانت توزع على باقي نواحي المنطقة،كما كان يرسل البارود وبعض المواد اللازمة لصناعة القنابل المحلية إلى أربعاء بني واسيف، لتنقل إلى مغارة مجهولة في جرجرة، حيث يوجد المهندس عبد الكريم التجاني الذي كان متخصصا في صناعة القنابل،كما سلمت مائة قطعة سلاح من الاوراس إلى المنطقة الثالثة، قام بنقلها المناضل خليفاتي سعيد بسيارته، غير أن الكثير منها كان غير صالح للاستعمال.

وقد تم تنفيذ مجموعة من العمليات العسكرية بالمنطقة الثالثة في الفاتح من نوفمبر، منها عمليات تقزيرت في ناحية ماكودة لمهاجمة مخفر الشرطة، وقطع الأعمدة الهاتفية الرابطة بين ماكودة وتقزيرت كما نفذت مجموعة من العمليات في عزازاقة، استهدفت حرق مجمع الفلين ومجمع الجندرمة، مقر المتصرف المدني، وتحطيم الأعمدة الهاتفية،كما استهدفت عمليات تادمايت مجمع الفلين ومقر التبغ البلدية، محطة البنزين،

الهاتف، وعمليات برج منايل استهدفت قطع أعمدة الهاتف، وحرق مجمع التبن للمعمر سكاليس، مقر نقابة التبغ، وعمليات ذراع الميزان استهدفت مقر الجندرمة في ذراع الميزان، وبوغني، البريد في تيزي نثلاثة، مزرعة احد الكلون ناحية تيزي غنيف، إلى جانب بعض المجاهدين الذين تأهبوا ولن ينفذوا عملياتهم، مثل ما وقع لمجموعة عين الحمام، ومجموعة الأربعاء ناث اراثن، ومجموعة الناصرية[6].

تنظيم الثورة بالناحيتين الثانية والثالثة من المنطقة الثورية الثالثة:

تقع الناحية الثانية والجزء الغربي من الناحية الثالثة في الجنوب الغربي للمنطقة الثالثة (الولاية الثالثة فيما بعد)، وتتشكل من خمسة أقسام وهي:

القسم الأول: يشمل برج أخريص.

القسم الثاني: يشمل الهاشمية وأهل القصر.

القسم الثالث: يشمل أولاد راشد، أشريعة ،ثملاحت، أث منصور.

القسم الرابع: يشمل حيزر وبني عيسي.

القسم الخامس: يشمل امشدالة واغبالو.

وتقع الناحيتين حسب التقسيم الإداري الحالي في ولاية البويرة، تتكون من 6 دوائر و22 بلدية تحدها من الشمال سلسلة جبال جرجرة، ومن الغرب المنطقة الرابعة التاريخية، ومن الجنوب الناحية الأولي من المنطقة الثالثة، ومن الشرق الجزء الشرقي من الناحية الثالثة.

تتميز الناحية الثانية من المنطقة الثالثة، التي أصبحت تسمي بالمنطقة الثانية من الولاية الثالثة فيما بعد مؤتمر الصومام، إلى جانب جزء من الناحية الثالثة، بطابعهما الجبلي من حيث التضاريس في الجزء الشمالي والشرقي، وبالسهول وأراضيها الخصبة في جزئها الغربي، والجنوبي من ذراع الميزان إلى محطة عمر والجباحية، مرورا بعين بسام فصور الغزلان؛ إلى غاية ديره حتى سيدي عيسي، ثم شرق ونوغة إلى غاية جبال البيبان، ومنها إلى الشرق نحو وادي الصومام وأعالي جرجرة، يهمنا في هذا السياق حدودها الجنوبية الغربية التي كانت تعتبر مجال عبور أسياسية للعديد من قوات جيش التحرير، ومركز اتصال أساسي بينها وبين المنطقة الرابعة والمناطق الثورية الأخرى[4].

وككل مناطق الوطن اقتصرت عمليات المجاهدين في البداية بالناحيتين الثانية والثالثة بعد الاندلاع في التوعية السياسية، وجمع المال والأسلحة من عند المواطنين، ومحاربة الدعاية الاستعمارية التي تصف المجاهدين بالفلاقة وقطاع الطرق، ومحاولة توعية الشعب بمفهوم الحياد، وأهداف الثورة ومسعاها حتى تتبلور جيدا فكرة الجهاد لدي كافة الشعب، لكي يستطيع أن يتبني هذه الثورة بوضوح، وقد كان لهذا العمل في البداية أثرا ايجابيا وعاملا حساسا؛ لدى الكثير من أفراد الشعب في الجهة التي عرفت فيما بعد بالناحيتين الثانية والثالثة من المنطقة الثالثة، وقد بلغ عدد العمليات التي تم تنفيذها بها خلال المرحلة الأولي من الثورة 123 عملية[7].

ونتيجة تطور العمل الثوري بالمنطقة وانتشار العناصر المصالية بها، ظهرت العديد من المشاكل بين الطرفين، وما زاد الوضع صعوبة وتعقيدا هو تطور مشكل الحركة المصالية إلى صراعات عسكرية بين الطرفين، إلى جانب مشكلة سيطرة السلطات الاستعمارية على الوضع في بداية الثورة، وخلط الأوراق أكثر لكي لا تظهر الحقيقة من جهة، ولربح الوقت والسيطرة على الوضع من جهة أخري.

وتعتبر مشكلة المصاليين من الصعوبات الكبرى التي اعترضت الثورة في هذه المنطقة، حيث ظهرت فيها إلى جانب هذه المشكلة، ومحاولات إحباط التفاف الشعب بالثورة من طرف السلطات الاستعمارية من جهة أخري، وفي هذه الحالة اعترضت الشعب مشكلة كبري مرتبطة بالثقة، فبالنظر إلى الماضي التاريخي لمصالي الحاج في الحركة الوطنية، لن يستطع الكثير من المناضلين السابقين في صفوف حزب الشعب الانسياق وراء هذه الثورة، أو الانضمام إليها بسهولة، بل ذهبوا إلى ابعد من ذلك في إطار الدعاية المضادة للثورة في البداية، ثم إلى التقاتل مع المجاهدين في معارك دامية، جرت رحاها كلها تقريبا في المناطق التابعة للولاية الثالثة.

كان رد فعل جبهة التحرير في البداية لينا على المستوى المحلي، عن طريق عقد عدة اتصالات بهم لإقناعهم بفكرة توحيد الصف، إلا أنهم اظهروا تصلبا ورفضوا الدخول تحت لواء جبهة التحرير الوطني واشترطوا العكس، أي دخول الجهة تحت لوائهم[8]، ومن بين تلك الاجتماعات التي عقدت معهم ذلك اللقاء الذي جمع أمحمد بوقره مع جماعة منهم في شهر جويلية من سنة 1955، كان الهدف منه توحيد الصف ضد العدو المشترك، لكن اختلاف التصورات حال دون الاتفاق بين الطرفين[9].

ونظرا لانسداد الوضع؛ وخطورة الحركة المصالية على تطور مسار الثورة بالمنطقتين الثالثة والرابعة اتصل العقيد عميروش بالقائد ميرة عبد الرحمن، في بوشاون بنواحي تكشدة، في منتصف سنة 1955 لدراسة الوضع وإعداد خطة إستراتيجية لمواجهة الظروف الصعبة[10]. كما لجأ قادة المنطقتين - الثالثة والرابعة -، إلى عقد اجتماع تنسيقي بينهما لدراسة الوضع في شهر جانفي من عام 1956بضواحي تكشدة، وبحضور قادة المنطقتين، اتخذت في هذا الاجتماع عدة إجراءات عملية صارمة لمواجهة الحركة المصالية، من بينها ضرب الحصار على المصاليين من الجهة الجنوبية لجرجرة، ابتداء من صحاريج شرقا إلى غاية حيزر غربا[11]، وشاركت في هذا الحصار عدة فصائل من جيش التحرير، إلى جانب أفواج من المسبلين تحت قيادة عبد الرحمن ميرة من الناحية الشرقية، وأمحمد بوقره من الناحية الغربية، وكريم بلقاسم من الناحية الشمالية[12].

نتيجة لذلك جرت عدة معارك كبرى بين المصاليين وجيش التحرير، نذكر على سبيل المثال لا الحصر، وحسب ما ورد في تقرير المعارك الكبرى بالولاية الثالثة، انه وقعت بينهما 27 معركة، جرى معظمها فوق تراب المنطقة الثالثة، وفرض فيها الحصار بالتعاون بين المنطقتين الثالثة والرابعة خلال الفترة الممتدة بين شهري جانفي وأوت من سنة 1956؛ من أهم هذه المعارك نجد: معركة زمورة بحيرز في 28 جانفي 1956، شاركت فيها عدة فصائل من وحدات جيش التحرير الآتية من مشدالة بقيادة عبد الرحمن ميرة. ومن الأخضرية بقيادة أمحمد بوقرة[13] معارك أنسمان بحيرز، التي تكررت ثلاثة مرات متتالية. ومعارك وادي تسالة، أمزاير، بني عيسى، أسلان، وأزغار...

وبعد هذه المعارك التي جرى معظمها بالناحية الثانية من المنطقة الثالثة، وفي المنطقة الحدودية بينها وبين الناحية الأولي من المنطقة الرابعة، انتقل المصاليون إلى جهات أخري من المنطقة الثالثة، أين جرت معارك أخرى كثيرة؛ ابتداء من شهر أوت من سنة 1956، ومن بينها نحد معارك برج أخريص،أولاد عنان، جبل بوزيد، غار الحنش وغيرها...، وقد أسفرت هذه المعارك عن خسائر معتبرة في الأرواح عن الجانبين، حيث فقد فيها المصاليون 347 جندي، وفقد فيها المجاهدون 78جندي[14]، وقد دارت هذه المعارك على مرأى ومسمع من الجيش الفرنسي، الذي أصبح ينتظر انتصار احد الطرفين على الآخر ليخلو له الجو للقضاء على الفريق المنتصر[15].

ونتج عن هذا الدعم المعنوي، أن سيطر المصاليون على الكثير من النواحي، خاصة بالمناطق الثالثة والرابعة والسادسة في بداية الثورة، حتى أن الكثير من الملتحقين الجدد بالثورة كانوا لا يفرقون في البداية بين تنظيم جيش التحرير والحركة الوطنية[16]، وربما تدل هذه المعطيات دلالة واضحة على مدى سيطرة وقوة المصاليين، وخاصة بالجهات الشرقية والجنوبية المحيطة بالناحية الأولي من المنطقة الرابعة، والناحية الثانية من المنطقة الثالثة منذ بداية الثورة،كما تدل نوعا ما عن نقص في تطور العمل الثوري لصالح جبهة التحرير الوطني بالمنطقة، حيث أن نظام الثورة لم يتوغل بالنواحي الشمالية للولاية السادسة إلى غاية بداية سنة 1956، عندما اتصل بناحية صور الغزلان أمحمد بوقره؛ الصادق دهيلس وعمار أوعمران رفقة فوج من جيش التحرير بهدف بث شبكة النظام بالناحية[17].

وأدى ظهور وبروز الحركة المصالية في هذه الجهات؛ إلى ربط الاتصالات وتنسيق الجهود بين قيادة المنطقتين الثالثة والرابعة في مواجهة كل من الجيش الفرنسي والمصاليين، ومحاولة بث النظام الثوري وإقناع الجماهير بفكرة الثورة، خاصة وأن الكثيرين منهم كانوا يدعمون المصاليين بدون علم منهم بأنهم ضد الثورة،كما حدث في الكاف الأخضر، ديره، وبوقعدون، والأكثر من ذلك أنهم تجندوا في صفوف الحركة الوطنية (M.N.A) ، على أساس أنهم في صفوف جيش التحرير الوطني[18].

والملاحظ على السلطات الفرنسية أنها راهنت كثيرا على هذه الفرص لتفريق وضرب جيش التحرير، وعرقلة انتشار النظام الثوري بالمنطقة، وحاولت أن تجعل من المنطقة نموذجا من نماذج التهدئة، ولهذا تكررت الزيارات الرسمية لممثلي الإدارة الفرنسية إلى هذه المناطق، حيث زارها المقيم العام روبار لاكوست وماكس لوجون، بالإضافة إلى وفد وزاري هام يوم 7 أوت من سنة 1956[19]، وان دل هذا على شيء إنما يدل على مدى قيمة المنطقة ،كونها مثلت ملجأ مثاليا للثوار قبيل اندلاع الثورة نتيجة حصانتها الطبيعية، ومركزا قريبا لتنفيذ العمليات ثم الاختفاء بها، وأيضا من ناحية قربها من العاصمة التي تعتبر مركزا لتجمع الكلون، وقيادة الجيش، والسلطات الاستعمارية، والصحافة الفرنسية والأجنبية، وخاصة منها اليسارية التي كانت دائمة البحث عن الثوار لإجراء مقابلات معهم، والملاحظ أن هذه الزيارات من طرف القيادات العليا في السلطة والجيش، أنها جاءت مباشرة بعد الروبورتاج الذي أجراه الصحافي روبير بارا مع العقيد أوعمران وفرقة جيش التحرير التي كانت معه في نواحي الأخضرية، ونشره في جريدة فرانس أوبسارفاتور في سبتمبر من سنة 1955.

ولم تكن هذه الزيارات الأولى من نوعها إلى المنطقة، والتي حاولت فيها السلطات الفرنسية تكذيب الحقائق تحت شعارات الأخوة، ففي بداية سنة 1956 عندما نفذت عمليات عسكرية واسعة بمنطقة الأخضرية

وتابلاط، جمعت ثلاثة دواوير من الأخضرية، وكعادتها لم تفوت الصحافة الفرنسية الفرصة، وعلقت عن هذا التجمع بعناوين دعائية، فجريدة "journal d'Alger" كتبت عن الموضوع بعنوان بارز في صفحتها الأولى ما يلي: **"مظاهرة المستقيمين ببالسترو"**[20]، من أجل التأثير على السكان وسحب ثقتهم من جيش التحرير.

وبالتوازي مع تنفيذ العمليات العسكرية لجيش التحرير بالمنطقة، جندت القوات الفرنسية اسنادات ضخمة من اجل السيطرة عليها، وخاصة بعد اشتداد هذه العمليات ابتداء من جانفي 1956، وبعد الهجومات الواسعة والمكثفة التي نفذت ضد المزارع والمراكز الفرنسية منذ شهر جانفى من سنة 1956، وبالضبط بعد هجومات هضبة 616، ولهذا أعلنت السلطات الاستعمارية عن عملية تمشيطية واسعة بالمنطقة، وبمشاركة قوات الجنرال ماسي، الدرك، وفرق اللفيف الأجنبي، وبدعم من سلاح الطيران والمدفعية[21]، وفي نهاية شهر فيفري، أعلنت عن مجموعة أخرى من العمليات الداخلية بالمنطقة ، على إثر هجومات أولاد موسى، تابلاط، وفج الحوضين[22]، وذلك بعد أن تم تنفيذ مجموعة من الهجومات من طرف الثوار على ستة مزارع أوروبية بالأخضرية في شهر مارس من نفس السنة، ولهذا أعلنت في الحال أيضا عن عملية تمشيطية عسكرية أخرى بالمنطقة[23]، واستمرت هذه الحملات التمشيطية في التواصل وبكثرة، وخاصة بعد محاولة اغتيال حاكم مدينة تابلاط في 12 مارس من سنة 1956 [24]، إلى جانب ظهور مجموعة من المجاهدين بنواحي بوزقزة، وتنفيذ مجموعة من الهجومات الأخرى في طريق تابلاط، التي تم فيها اغتيال إحدى عشر شخصا في ظرف ثلاثة أيام فقط، ولهذا ففي 21 أفريل أعلنت عملية تمشيطية في تابلاط وبوقرة، وبمشاركة اسنادات ضخمة؛ نتج عنها إيقاف 200 مشبوه[25]، كما تم حصار منطقة سوفلات بعين بسام لمدة ستة أيام؛ بغرض اكتشاف مقر قيادة الناحية[26].

وفي 18 ماي من سنة 1956، وعلى إثر كمين أولاد جراح تم إعلان عملية تمشيطية كبرى تحت القيادة المباشرة للجنرال ماسي[27]، وبمساهمة الجنرال قودارد (Godard)، والجنرال بروتي (Brothier)، وبمشاركة سبعة فيالق لمدة خمسة أيام متتالية[28]، وتباعا لذلك أعلنت مجموعة من العمليات الأخرى بضواحي العاصمة، والأطلس البليدي، وببلاد القبائل منذ 16جوان إلى 11 جويلية تحت اسم أركوبيس (Arquebuse)، زولو (Zoulou)، باسك (Basque)، واسبرونس (Espérance)، وبواتي (Poitiers)، جندت لها السلطات الفرنسية قوات عسكرية ضخمة وحاصرت منطقة بوزقزة[29]، وناحية سيدي مخلوف بعين بسام لمدة ثمانية أيام[30]، كان الهدف منها التعرف على المنطقة وشق الطرق، وإنشاء مراكز عسكرية للتحكم فيها، بعد أن كثر الإزعاج للجيش الاستعماري بسبب العمليات الجريئة لجيش التحرير التي نفذها بها، وأخذت أكثر من الشهرة المحلية في الصحافة الاستعمارية، وعلى مستوى الرأي العام، مما جعل السلطات الاستعمارية تلجا الي إصدار أمر بعدم تشهير الصحافة بعمليات جيش التحرير لاحقا، ومعالجة الأمر في سرية تامة، باستثناء ما يشهر بقوتها، وفي المقابل الإنقاص من قيمة العمل التحريري لأفراد جيش التحرير بالمنطقة،كالإعلان عن اغتيال القادة العسكريين لجيش التحرير، مثل الإعلان عن القضاء على مصطفي خوجة، قصد إحباط معنويات أفراد جيش التحرير، والقضاء على التفاف الشعب حول الثورة.

هذا عن المرحلة التي سبقت مؤتمر الصومام، أما بعده وعلى اثر استحداث هياكل جديدة لدعم العمل الثوري، فقد تطور العمل العسكري لأفراد جيش التحرير بالمنطقة أكثر، خاصة بعد أن اتضحت الرؤى بشكل جيد، وتم التخطيط للمستقبل من طرق قادة الثورة ، حيث تم إحصاء 751 عملية في مختلف أقسام الناحيتين

الثانية والثالثة خلال الثورة[31]، ومن أشهرها المعارك الكبرى التي وقعت في جبل تمقوت، تيكشجدة، حيزر، اذرار زقان، وغابات ثافركوث، وبني وقاف، وشريعة ،الفراكسة، وأهل القصر، وبرج اخريص...هذا على مستوي الناحيتين الثانية والثالثة من الولاية الثورية الثالثة، دون التعرض إلى المعارك الكبرى الأخرى على مستوي الولاية الثالثة التي اثبت فيها الشعب مدى الالتفاف حول ثورته وتبنيه لقضيته الوطنية، واثبت أيضا جيش التحرير عن مدى التنظيم والبسالة في المعارك فذلك مجال أخر.

وبالتوازي نجد أن السلطات الاستعمارية هي الأخرى لم تدخر جهدا لمحاربة الثوار بالمنطقة، وبكل الطرق منها المشروعة دوليا وغير المشروعة، للوصول إلى هدف السيطرة على الوضع وإسكات صوت الثورة، الذي وصل إلى أرجاء مختلفة من العالم، وذلك بعد الضربات المتتالية والموجعة التي وجهها لها جيش التحرير في الكثير من مناطق الوطن، على اثر التنظيم الذي عرفته الثورة بعد مؤتمر الصومام، وذلك عن طريق مضاعفة المراكز العسكرية المتقدمة بالمنطقة المعنية بالدراسة، في إطار مخطط روبار لاكوست، وقد بلغ عددها 44 مركزا، وإقامة عدة معتقلات، و37 ثكنة عسكرية، و21 محتشد، و10 فرق إدارية مختصة في شؤون الأهالي، و11 مركز تعذيب، ورزع مساحات واسعة بالألغام[32].

ونتيجة تطور العمل الثوري ازدياد نشاط الثوار بالمنطقة خلال السداسي الأول من 1957، تم الإعلان عن عملية بيجار خلال شهر جوان من سنة 1957، شملت الجهة الشمالية من مشدالة والجزء الشرقي للناحية، وهي اكبر عملية تمشيط من نوعها عرفتها هذه الناحية منذ اندلاع الثورة، من حيث الحجم، ومن حيث المساحة التي شملتها بالتمشيط، والمدة والسرعة في التنفيذ، من خلال الحصار والتطويق والتفتيش الدقيق للغابات،كل هذا نتيجة تزايد العمل العسكري بالمنطقة، حيث جرت أزيد من 25 عملية ضد القوات الفرنسية خلال السداسي الأول من سنة 1957، وقد بدأت هذه العملية في 27 جوان من نفس السنة، عن طريق تجنيد 36 ألف جندي و200 آلية متحركة، إلى جانب دعم الطائرات العمودية والمقنبلة والاستطلاعية، دامت حوالي أسبوع، وقد نتج عنها خسائر بشرية كبيرة لم تعرفها الناحية من قبل، استشهد منهم 80 شهيد جلهم من المدنيين والمسبلين، من بينهم 58 استشهدوا في مجزرة بصحاريج خلال خمسة أيام، واستشهد خمسة مجاهدين من بينهم مليكة قايد، وأسرت ممرضتان، وتم اعتقال 20 مواطنا هذا دون الحديث عن الخسائر المادية[33].

مظاهر التعاون والتآزر بين المنطقة الثالثة وباقي المناطق الثورية الأخرى:

بقي أن نشير بأن رسم حدود المناطق والولايات الثورية التاريخية،لم يكن الهدف منها تقييد عمل الثورة، أو حصر أشغال الثوار في جهات معينة ومحددة، وإنما كان من اجل التحكم في تنظيم العمل الثوري، والتمكن من دعم الثورة على حسب المناطق التي كانت في حاجة إلى المساعدة، نشير أيضا بان هناك عدد كبير من مظاهر التعاون والتآزر التاريخي بين قادة الولايات الثورية، الذين لم تقف أي صعوبة؛ أو مشكل مهما كان نوعه قبل القناعات في هذا المجال أولا، وثانيا بالنظر إلى الأهداف المشتركة، وليس إلى المصلحة المشتركة.

ففي هذا المجال قدمت المنطقة الثالثة إلى المنطقة الرابعة 21 رجلا بقيادة عمر أعمران للقيام بتنفيذ عمليات الفاتح من نوفمبر، وذلك بسبب إحباط عزائم المناضلين الذين تم تحضيرهم من طرف سويداني بوجمعة للمشاركة في هذه العمليات بالمنطقة الرابعة، من طرف جماعة لحول حسين وامحمد يزيد،كما أبدى كريم

بلقاسم وأوعمران استعدادهما لبيطاط لإرسال 200 رجل لان اقتضي الأمر ذلك إلى العاصمة[34]، وان دل هذا على شيء أنها يدل على أن هذان الرجلان كانا يحظيان باحترام كبير وسط المناضلين بالمنطقة الثالثة من جهة، وتحكمهما في زمام الأمور من جهة أخري.

وان كان الطريق الوطني رقم خمسة، هو الحد الفاصل بين الناحية الأولى من المنطقة الرابعة، والناحية الثانية والثالثة من المنطقة الثالثة، إلا أن القيادة الرشيدة لكريم بلقاسم وأوعمران جعلت من هذه المناطق مكملة لبعضها البعض في مجال العمل الثوري وخاصة في بداية الثورة، أين كان المجاهدون في حاجة ماسة إلى الوحدة، أكثر من أي شيء أخر، في ظل الظروف العامة التي طبعت الثورة في بدايتها؛ من مشاكل الانطلاق كما سبقت الإشارة إليها، إلى مشاكل التسليح التي القي بسببها كريم بلقاسم كلمة باغيل إيمولة على المجاهدين الذين التفوا حوله فيما بعد، كلمة تاريخية لا يمكن أن تصدر إلا من أفواه أناس متأكدين جيدا مما يعتقدون، حيث تمكن من إقناع عناصره أن المشكل لا يكمن فيمن وعدهم بالسلاح من قادة الثورة، وإنما يرجح أن المشكل راجع إلى مدي سيطرة السلطات الفرنسية على الوضع، خاصة بعد العمليات المفاجئة لأول نوفمبر[35].

هذا دون الحديث عن الدعاية الاستعمارية المغرضة، التي كانت تستهدف الثوار الأوائل وتحاول إحباط العمل الثوري، والتفاف الجماهير حول الثورة ودعمها، وعلى اثر اعتقال رابح بيطاط مسؤول المنطقة الرابعة في 22 مارس 1955، تم تعيين اعمران مكانه قائدا على المنطقة الرابعة، وتعاون معه عبان رمضان بعد ان خرج من السجن بأمر من كريم بلقاسم.

وقد عمل اعمران منذ تعيينه على دعم وتنظيم المنطقة الرابعة أكثر، وتنسيق العلاقات والاتصال بينها وبين المنطقة الثالثة، ونتج عن هذا التعيين الجديد سد الفراغ في القيادة بالمنطقة الرابعة، مما ساعد في تنسيق العمل أكثر بين المنطقتين الثالثة والرابعة[36]، كما يمكن أن يكون هذا سببا في تركيز قيادة المنطقة الرابعة بالناحية الأولى منها في بداية الثورة، وازدياد نشاط العمل الثوري بها أكثر من أي وقت مضى خلال المرحلة الأولى من الثورة، ويدخل هذا في جانب التغطية والدعم والمساعدة، الذي باشر قادة الثورة منذ البداية تقديمه إلى إخوانهم المناضلين، الذين جمعتهم بهم كما سبقت الإشارة إليه وحدة الهدف والمصير المشترك، قبل أي اعتبار أخر مهما كان نوعه.

ونتيجة الطابع الجغرافي الصعب للمنطقة، ولتدارك النقص المفروض في الاتصال بسبب غياب قيادة مركزية للثورة في البداية، وانشغال كل قائد بمنطقته، وفرض الرقابة المشددة من طرف الجيش الفرنسي على الأماكن الحساسة، كل هذا أدى إلى انقطاع الاتصال بين قادة الثورة خاصة بعد إلقاء القبض على رابح بيطاط ومصطفى بن بولعيد، واستشهاد ديدوش مراد وبن عبد المالك رمضان، وانقطاع أخبار الآخرين؛ ولهذا تم إنشاء مجموعة من المراكز على مستوي المنطقة لقادة الثورة؛ لتنسيق العمل الثوري أكثر بينهم، حيث جرت عدة لقاءات بين قادة المنطقتين الثالثة والرابعة في بداية الثورة، فمركز الاتصال بينها وبين المنطقة الأولى عين في مزرعة بمشدالة، ومركز الاتصال بين المنطقة الرابعة والثانية عين في مزرعة بالبويرة، ومركز الاتصال بين المنطقة الرابعة والثالثة عين في مزرعة بسي مصطفى، ومركز الاتصال بين المنطقة الرابعة والخامسة عين في مزرعة بدائرة بوفاريك[37].

ولعل من ابرز مظاهر التآزر والتعاون بين قيادات الثورة بعد اندلاعها مباشرة، تتويج الانطلاقة بعقد مؤتمر الصومام الذي تم التحضير له في المنطقة الرابعة، وعقده في الولاية الثالثة، ويعتبر هذا المؤتمر احد الانجازات الكبرى للثورة الجزائرية، واحد المكاسب التاريخية الهامة جدا التي تفتخر بها الثورة التحريرية في المحافل الدولية، والتي برهنت فيها على مدي ثقة الجزائريين بعدالة قضيتهم الوطنية؛ وتبنيهم لها، ومدي الوعي بالمسؤولية الملقاة على عاتقتهم من طرف الشعب، لهذا تم التخطيط والتنظيم الجيد له، وكان عقده ونجاح تنظيمه في الأخير من اكبر الضربات الموجعة التي وجهها قادة الثورة للسلطات الاستعمارية، كما اعتبر أول مؤتمر وطني لقادة الثورة التحريرية الجزائرية، الذي أعطي لها بعدها العسكري والتنظيمي، وشخصيتها السياسية في الداخل والخارج، وهذه الولاية التاريخية أخذت شرف احتضانه، والمشاركة فيه، والإشراف على تنظيمه، وضمان نجاحه.

خاتمة:

وفي الأخير يمكن القول أن وحدة الهدف، والمصير المشترك، والإيمان بعدالة القضية، وضرورة استرجاع السيادة الوطنية المفقودة منذ أزيد من قرن من الزمان،كانت تمثل الدافع القوي وراء وحدة الصف بين قيادات الثورة التحريرية الجزائرية، قبل كل الاعتبارات الأخرى مهما كان نوعها وشكلها، وتمثل أيضا من جهة أخري مدي الوعي لدي قيادات الثورة بوحدة القضية الوطنية الجزائرية.

الهوامش:

1- يحي (بوعزيز)، الثورة في الولاية الثالثة ، طبعة خاصة الجزائر، عالم المعرفة، الجزائر، 2009، ص11.

2- عبد القادر (حيمي)، جغرافية الجزائر، ط1، مكتبة الشركة الجزائرية، الجزائر، 1968، ص47 .50.

3- يحي (بوعزيز)، نفس المرجع السابق ،ص 12.

4- ندوة في 25 نوفمبر 1999 ،مكتب ولاية البويرة الإدارية، الناحيتين الثانية والثالثة،المنطقة الثالثة التاريخية ،ص 1.

5- يحي (بوعزيز)، ثورات القرن العشرين ، طبعة خاصة الجزائر ، عالم المعرفة ،الجزائر، 2009، ص117.

6- جبهة التحرير الوطني، الطريق إلى نوفمبر كما يرويها المجاهدين، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزء الأول، المجلد الأول، ص325 .335.

7- ندوة في 25 نوفمبر 1999، مكتب ولاية البويرة الإدارية ،الناحيتين الثانية والثالثة ، نفس المرجع السابق ،ص15

8- الطاهر حليسي، " الشروق اليومي في حوار ساخن مع الدكتور رابح بلعيد، هكذا خطفت جبهة التحرير الثورة من مصالي"، الحلقة السابعة، في: الشروق اليومي، العدد 151، 2001/5/6، ص 5. ينظر أيضا: الرسالة التي بعث بها مصالي الحاج إلى وفد القاهرة ، بتاريخ 31 جانفي 1955، نفس المرجع، الحلقة السادسة، العدد 150، 2001/5/5، ص 11.

9- تقرير ولاية البويرة...المقدم لندوة 1998، مرجع سابق، ص .9

10- نفسه، ص .8

11- المنظمة الوطنية للمجاهدين، ندوة المعارك الكبرى بالولاية الثالثة، تيزي وزو، 25 نوفمبر 1999،ص .19

12 - نفسه.

13- ندوة المعارك الكبرى بالولاية الثالثة، مرجع سابق، ص 15.

14 - نفسه، ص ص 15 -21.

15 - LE FLN Mirage et réalité, opcit, p 149.

16 - Francis ATTARD " imposante manifestation de loyalisme à Palestro" in : journal d'Alger , N°2, 072, 23 Mars 1956, p 3.

17- rapport sur la situation militaire en Algérie, op cit , p 20.

18 - حسبما ذكره العقيد أوعمران في : الطريق إلى نوفمبر، الجزء3، مرجع سابق، ص 81.

19 - M _ M LACOSTE et LEJEUNE dans la région de Palestro" in : journal d'Alger, N°2, 188, 7 Août 1956, p3.

20_ Francis ATTARD "imposante manifestation de loyalisme à Palestro " in : journal d'Alger, N°2, 072, 23 Mars 1956, p 3

21 - Gabriel CONESA, "13militaires enlevés par les rebelles…à la suite d'une importante opération des nombreux rebelles ont été arrêtes hier" in : journal d'Alger. N° 2,003, 3 janvier 1956, p3.

22 - ينظر جرائد 18 فيفري، ص1 ، 25 فيفري، ص 1، 26 - 27 فيفري، 1956، ص1.

23 -Abominable tuerie près de Palestro…22 rebelles tués à la suite d'une opération de contrôle, op.Cit, p1.

24- samedi, à 4km de Tablat l'administrateur RAYMOND échappe à une embuscade qui fait 2 morts et 2blessés , in journal d'Alger, n°2,062 , 11-12 mars 1956, p1.

25 - la bande aux brassards est revenue sur la route de Tablat, 3 morts, I disparu et 7 blessés, une vaste opération en cours dans la région à déjà permis l'arrestation de200 suspects, in : Journal d'Alger, N° 2,090, 21 avril 1956, p1.

26 - تقرير ولاية البويرة...المقدم لندوة 1998، مرجع سابق، ص.18

27 - le temps des léopards, op.Cit, p676.

28 - Henri LE MIRE, op.Cit, p77.

29 - Au cours de la vaste opération déclenché dans le Bouzegza, l'assassin de la adjudants – chef Master capture, in: journal d'Alger , N°2,132, 2 Juin 1956, p1.

30 - Mohamed, TAGUIA; op Cit, p298.

31 - ندوة المعارك الكبرى بالولاية الثالثة، مرجع سابق، ص .16

32 - نفسه ، ص 16.

33 - ندوة المعارك الكبرى بالولاية الثالثة، مرجع سابق، ص 17.

34_ الثورة في الولاية الثالثة ، نفس المرجع السابق ، ص 32.

35 - نفس المرجع ، ص .37

36 -1 novembre 1954, 1 novembre 1959, El moudjahid, 1 novembre 1959، T2. N°53-54, p520.

37 - أنظر، أحسن بومالي، إستراتيجية الثورة الجزائرية في مرحلتها الأولى 1954 -1956، المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والإشهار، منشورات متحف المجاهد، الجزائر: ص ص 77 - 79.